

« هذا لغت اللسان »

لا جدوى من أن تلصق أوراقا خضراء على غصن جاف .
 دعنا نذبل
 دعنا نفقد خضرتنا ، نصفر ، نخاف
 دعنا نكتسب الالوان الجرباء
 دعنا نتعري ، نسقط
 تجرفنا الريح على وجه الماء
 دعنا يأكلنا الاسفلت
 نسد البالوعات
 نتحمل أقدام الاطفال وضغط العربات
 دعنا ندوى ، نتحلل
 ينمو في أعيننا الفطر
 تسحقنا أحذية المطر الفاضب
 دعنا نمتزج بتربة مصر السبخاء
 دعنا نخصب هذي الارض الصحراء
 حتى ان جاء ربيع
 ان جاء
 تنمو أوراق الشمس على الاشجار
 ويفيض الظل نقيا كالامطار

يسرى خميس

القاهرة

وقد يكون في هذا بعض الحقيقة ، لكننا لا نستطيع فصل كتب الحصري ومحاضراته عن حياته ، وكذلك لا نستطيع فصل كتب ومحاورات الارسوزي (بالقياس الى محاورات سقراط) عن حياته .
 واذا كانت حياة الحصري تبدو مستقرة بعض الشيء ، رغم تنقله المستمر ، مما أكسبه ذهنا تجريبيا ومقارنا ، فان حياة الارسوزي كانت عبارة عن سلسلة من الماسي والنكبات ، بدأت يوم بدأ يصطدم بأعداء العروبة ، ثم تازمت يوم أضع مسقط رأسه - الاسكندرون - وجاء طريدا مشردا مع تلاميذه . ومع ايمانه القومي الحاد الذي تحول الى ما يشبه الهوس ، وجعله أقرب الى رجل العقيدة منه الى العالم الباحث . وهذا لا يسيء الى الارسوزي ، وهو الذي أراد نفسه انسان رسالة اكثر منه مؤلف كتب أو مبدع مقالات ، وأراد أن يكون معلما للجيل أكثر منه أستاذا للمدرسة أو مناظرا لجامعة . .
 وأراد أن تكون حياته ، مثلا لافكاره ، نفحة رحمانية وقبسا يشع خلال الليل الحالك .

تراني شططت عن الموضوع باطلتي الحديث عن الحصري وعن الارسوزي ؟

لقد قلت بأن الذهن العربي قد وعى بأن للثقافة رسالة تعنى بتقويم الاعوجاج ، وان أوضاعنا القومية المعوجة تحتاج للتقويم ، يعني للتنسيق والتوضيح والتوحيد ، واننا نحس حالما نتحدث حاجة وضع الافكار القومية في قلب الاحاديث .

ان للثقافة رسالة ، واذا كنا لا نسمح لانفسنا بالحكم على ثقافتنا العربية المعاصرة ، في هذه المجالة ، فان من المشجع ومن الفرح أن ينتبه أحد مثقفينا المعاصرين لهذه الظاهرة المهمة فيدهو كتابه عن الادب ب « الادب المسؤول » (1) .

عنان ابراهيم

باريس

(1) المرحوم وثيق خوري في كتابه الذي صدر بهذا العنوان من دار الاداب .

يطول الحديث عن فكر هذه المرحلة التاريخية ومفكرها ، لكن من الجور والظلم أن ننهي الحديث بدون الكلام عن ساطع الحصري وعن زكي الارسوزي .

اذا كان لكل أمة فكرها القومي ومفكرها القوميون ، فان أمتنا العربية قد عرفت خلال طور انبعاثها الحاضر هذين المفكرين الرائدتين . يقولون ، لقد بدأ فكرنا القومي وبدأت نهضتنا العربية قبل المعلمين . هذا صحيح ، لكنه كان فكرا ضبابيا وحائرا ، كان يتعثر في سيره وتطوره ، ويحوي الكثير من الثغرات والنواقص ، ثم كان فكرا لا يميز بين الدعوة الشرقية والاسلامية والعربية ، ثم جاء الحصري منذ نصف قرن ، فاذا به يناظر ويناقش ، يعمل ويكتب ، واذا به يحلل ويناضل من أجل القضية العربية ، واذا به ، وهذا أفضل ما قام به ، ينزل بالعروبة وبالوحدة العربية ، من سماء الامال والاحلام والاماني نحو أرض الواقع حيث يتحقق الوجود العربي وحيث تخرج الفكرة من حالة التجريد نحو الواقع العملي المحسوس .

واذا كان الحصري قد اختار مجال البحث والتحليل الاجتماعيين ، كوسيلة للكشف عن أوضاعنا الثقافية والاجتماعية ، وكوسيلة لتنسيق هذه الأوضاع ، وإبراز العوامل والشروط القومية التي تتوفر في أمتنا بالنسبة الى العوامل والشروط التي تتوفر في القوميات التي تحققت أو تسيير في طريق التحقق ، فان الارسوزي قد تنبه بشكل خاص الى الأهمية التي يتميز بها اللسان العربي ، ووعي العلاقة الشديدة ما بين اللسان والفكر العربيين ، ما بين المعاني واللفاظ التي تختزنها وتحملها ، وانطلاقا من هذه الفكرة أو هذه النظرية ، أعني انطلاقا من فقه اللغة العربية ، عمل الارسوزي على سبر أغوار الكلمات ، وعلى تعرية القشور التي علفت بحياتنا وكادت تغطي حقيقتنا ومعالم حضارتنا ، في محاولة خلاقة وجديدة قصد الوصول الى جوهر الوجود العربي والحضارة العربية . ربما قال بعض الذين عرفوا الارسوزي ، انه كان لا يخلو من الفكر الضبابي ومن الافكسار العامة ، غير المتسقة حيناً والطوبائية أو الرومانسية حيناً آخر .